إزالة الحَيْرة لإدراك ثواب الحج والعمرة بأعمال يسيرة فلله الحمد مِنّة وشكرًا

2022-06-24

نحمدك اللهمّ على ما تأخذ وتُعطي، وعلى ما تُعافي وتَبتلي، الحمد لك يا رب إذ لم تُصْبِحنا مرتدّين عن دينِنا، ولا منكِرين لربِّنا، ولا مستوحِشين من إيمانِنا، ولا معذَّبين بعذاب الأُمم من قَبلنا، أصبحنا عبيداً مملوكين لك، لك الحُجّة علينا، ولا حُجّة لنا عليك، لا نَقدر أن نأخذ إلا ما أعطيتنا، ولا أن نتّقي إلا ما وقَّيْتنا، نحمدك اللهمّ ونستعين بك ونستغفرك. سبحانك اللهمّ مغيث المستغيثين، ومجيب دعوة المضطرّين، ومُسبِل النِّعم على الخلْق أجمعين، مَن أناخ بباب كرمِك ظفَر، وأَزَلْتَ عنه الضر. وجبرتَ منه ما انكسر، نِعمك تَتْرى، وفضْلك لا يُحصى، إليك وحدك تُرفع الشكوى، وأنت المقصود وحدك في السر والنجوى، تجود بأعظم مطلوب، وتعمّ بفضلك وإحسانك كلَّ مربوب، عَظُم حِلمك فسترت، وبسطتّ يدك بالعطاء فأكثرت، فاللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ شُكْرًا. وَلَكَ الْمَنُّ فَضْلاً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. أتمّ على المسلمين المنّة. وأكمل عليهم النعمة. فسار بفريق منهم إلى بيته الحرام حاجّين. ثم جعل آخَرين منهم في ديارهم مقيمين. حَبَسهم العذر. يعيشون مع الحجّاج بالرُّوح والفِكر. يشاركونهم في الأجر. بأعمالٍ بديلة ليس فيها عُسر. فضلاً من الله ومنّة. والله ذو الفضل العظيم. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده الذي عمّ فضله جميع الوجود. ورسوله الذي لولاه لم يكن لهذا العالم وجود. وصفيّه الذي من شِيَمه الإيثار والجُود، وخليله الذي ليس لمكارم أخلاقه حدود، أَرْأَفُ الأُمَّةِ بِالأُمَّةِ، وَأَنْصَحُهُمْ لَهَا، وَأَصْدَقُهُمْ مَعَهَا، وَأَعْلَمُهُمْ بِمَا يُصْلِحُهَا، لَا خَيرَ إِلَّا دَلَّ عَلَيهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَ مِنْهُ.

يا أيّها الناس هذا سيّدُ الأُمَمِ * في طاعة الله رجّانا ورغّبنَا
إن شئتمُ تَظفَروا بالفضل والمِنَنِ * وتَسْلَموا من جميع البؤس والْمِحَنِ
صلّوا على مَن أتى بالفرض والسُّنَنِ

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيِّدنا محمد، النبيّ الطاهر الأبرّ. وعلى آله ذوي العزّ الشامخ والنسب الأفخر. وعلى صحابته المخصوصين بالإيمان الكامل والسرّ الأبهر. صلاة تتحفنا بها برضوانك الأكبر. ونكون بها ممّن حجّ البيت وقبّل الحجر. ووقف بعرفة وحلق ونحر. وختم حجّه بزيارة سيّد البشر. صلى الله عليه وآله وسلَّم. وجال في مدينته الطيّبة ومتّع فيها النظر. ونال بالتبّرك بآثاره الشريفة غاية الوطر. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ السفر إلى بيت الله الحرام، يحتلّ في كل قلب كل موحِّد، مَقاما عظيماً، وشَوقاً عارماً رهيباً، ويبلغ به اللهف والحنين أشدَّه مع إطلالة موسم الحج العظيم، وكلّ هذا استجابة لدعوة سيّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، تلك الدعوة التي سجّلها ربّ العزة في قرآنٍ يتلى إلى يوم الدين. قال تعالى في سورة إبراهيم:((رَبَّنَا إِنِّيَ أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ)). لذا كانت النفوس المؤمنة تتُوق إلى الحج، لِمَا جعل الله في القلوب من الحنين إلى بيته الحرام، تهواه القلوب، وتشتاق له النفوس، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ولو قال فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم؛ لحَجّته اليهود والنصارى). واستجابة لأمْر الله تعالى:((وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)). لذا فما زال بيت الله في النفوس معظَّماً، ولا زالت مواكب المشتاقين، والمعظِّمين على مرّ السنين تحُجُّه، وتتحرّك وجداً وشوقاً إليه. قال تعالى:((وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً)). أيْ مرجعاً يثوبون إليه لحصول منافعهم الدينية والدنيوية، يتردَّدون إليه لا يقضون منه الوَطَر. فهنيئاً لهم نعمةَ الله عليهم، ونسأله

تعالى ألا يحرمنا وإياكم فضله، فإنّ الله يُعطي الدنيا لمن يُحب ولمن لا يُحب، ولا يُعطي حب الطاعات، والأُنس بها، والشوق إليها إلا مَن يُحب. قال سريّ السقطي رحمه الله: (خرجتُ إلى الحج من طريق الكوفة؛ فلقيتُ جاريةً حبشيةً تمشي، فقلتُ: إلى أين يا جارية؟ قالت: إلى مكة. فقلتُ لها: إنّ الطريق بعيد. فقالت: بعيدٌ على الكسلان أو ذي مَلالةٍ. وأمّا على المشتاق فهو قريب). هنيئاً لمن كتبه الله مع الوفد المفلحين؛ دعاهم فأجابوا، وقرَّبهم ليُكرمهم، وأدخلهم في عملٍ هو عنده مِن أحب الأعمال. ليُحسن عُقباهم في الحال والمآل. أيّها المسلمون. حُقَّ لِمَنْ شاهَدَ السَّائِرِينَ إِلَى مَكَّةَ المكرّمة وَهُوَ قَاعِدٌ أَنْ يَحْزَنَ وَيُشْفِقَ. ولِمَنْ رَأَى الْوَاصِلِينَ إلى الكعبة المشرّفة وَهُوَ مُنْقَطِعٌ أَنْ يزعج ويَقْلَقَ، غِبْطَةَ لِمَن وَصَلَهُمُ الله لا حَسَدًا، ورحم الله ابن العريف المالكيّ وهو يعبِّر عن حرارة شوقه. وبُعْده عن الحرمَيْن الشريفَيْن فيقول:

شدّوا المطيّ وقد نالوا المُنى بمِنى * وكلّهم بأليم الشّوق قد باحا
سارت ركائبهم تندي روائحها * طِيباً بما طاب ذاك الوَفد أشباحا
نسيم قبر النّبيّ المصطفى لهمُ * رَوح إذا شربوا من ذِكره راحا
يَا سَائِرِينَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ لَقَدْ * سِرْتُمْ جُسُوماً وَسِرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحَا
إِنَّا أَقَمْنَا عَلَى عُذْرٍ وعن قَدَرٍ * وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُذْرٍ كَمَنْ رَاحَا

فمند القديم. وفراق الحجّاج يؤثّر في القلوب الحيّة. فترى العارفين إذا رأوهم يتأهّبون للسفر. قالوا بصِدق عاطفة:

يَا رَاحِلِينَ إِلَى مِنًى بِقِيَادِي * هَيَّجْتُمُو يَوْمَ الرَّحِيلِ فُؤَادِي
سِرْتُمْ وَسَارَ دَلِيلُكُمْ يَا وَحْشَتِي * الشَّوْقُ أَقْلَقَنِي وَصَوْتُ الْحَادِي
وَحَرَمْتُمُو جَفْنِي الْمَنَامَ بِبُعْدِكُمْ * يَا سَاكِنِينَ الْمُنْحَنَى وَالْوَادِي
فَإِذَا وَصَلْتُمْ سَالِمِينَ فَبَلِّغُوا * مِنِّي السَّلامَ أُهَيْلَ ذَاكَ الْوَادِي

وإذا أحسّوا بأنّهم قد وصلوا ميقات الإحرام. وشرعوا في تأدية مناسكهم. تمنّوا أن يكونوا معهم. وقالوا:

وَيَلُوحُ لِي مَا بَيْنَ زَمْزَمَ وَالصَّفَا * عِنْدَ الْمَقَامِ سَمِعْتُ صَوْتَ مُنَادِ
وَيَقُولُ لِي يَا نَائِمًا جِدَّ السُّرَى * عَرَفَاتُ تَجْلُو كُلَّ قَلْبٍ صَادِ
مَنْ نَالَ مِنْ عَرَفَاتِ نَظْرَةَ سَاعَةٍ * نَالَ السُّرُورَ وَنَالَ كُلَّ مُرَادِ
تَاللَّهِ مَا أَحْلَى الْمَبِيتَ عَلَى مِنًى * فِي لَيْلِ عِيدٍ أَبْرَكِ الأَعْيَادِ
ضَحُّوا ضَحَايَاهُمُ وسَالَت دِمَاؤُهَا * وَأَنَا الْمُتَيَّمُ قَدْ نَحَرْتُ فُؤَادِي
لَبِسُوا ثِيَابَ الْبِيضِ منشورَ الرِّضا * وَأَنَا الْمُتَيَّمُ قَدْ لَبِسْتُ سَوَادِي
يَا رَبِّ أَنْتَ وَصَلْتَهُمْ وقطَعتنِي * فَبِحَقِّهِمْ يَا رَبِّ فُكَّ قِيَادِي

وإذا سمعوا بأنّ الله شرّفهم بزيارة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم. في مدينته الطيّبة. تمثّلوا قائلين:

بالله يا زُوّارَ قبرِ محمّدٍ * مَن كان منكُم رائحٌ أو غادِ

لِتُبلغوا المُختارَ ألفَ تحيّةٍ * من عاشقٍ متقطِّعِ الأكبادِ

صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ يَا عَلَم الهُدَى * مَا سَارَ رَكْبٌ أَو تَرَنَّمَ حَادِي

وقد يغلبهم خيالهم ويتمنّوا لو كانوا معهم هناك في المدينة المنوّرة. فيقولون:

فأحرِمُ فَورًا قاصدًا لاتّجاهِهِ * وأجعلُهُ لِي الذُّخْرَ عند إلهِهِ
لعلِّيَ أُسْقى شربةً مِن مياهِهِ * وَأسْعَى لِمَنْ تسْعَى العُصَاة لِجَاهِهِ

فيَا رَبِّ بَلِّغنِي زِيَارَة مَنْ أنوِي

نعم والله. أرواحنا تطير إلى هناك. أرواحنا تحنّ إلى هناك. أرواحنا تشتاق إلى هناك. غير أَنَّ الْمُتَخَلِّفَ لِعُذْرٍ، شَرِيكٌ لِلسَّائِرِ فِي الأَجْرِ؛ ففي صحيح البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ؛ فَقَالَ:((إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَاماً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟! قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؛ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ)). ولكن ماذا يفعل المسلم المحبُّ وقد حالتْ بينه وبين مُراده الظروف والمقادير. وأقعده العجز والمعاذير، ولا شيء بيده إلاَّ أنْ يفوِّضَ أمرَه إلى الله اللطيف

الخبير، وأنْ يدعو قائلاً: اللهم ارزقْنَا حجَّ بيتك، وزيارة نبيّك. صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. أيّها المشتاقون! أبشِروا. فإنّ حالكم كحال مَن تعطّش للجهاد في سبيل ربّ العالمين، ولكن حبسهم العذر. مثل ما وقع لفقراء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين رأوا أصحاب الأموال ينفقون أموالهم فيما يحبّه الله ورسوله. من الحج والإعتمار. والجهاد في سبيل الله. وغير ذلك من أنواع البرّ والطاعات والقربات. حزنوا لِمَا فاتهم من مشاركتهم في هذه الفضائل. وقد ذَكرهم الله تعالى في كتابه الكريم بهذا الوصف. فقال في سورة التوبة:((لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ)). وسبب نزول هذه الآية كما رُوِي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: (أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن ينبعثوا. أيْ يخرجوا غازين معه، فجاءت عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مغفّل المُزَني رضي الله عنه فقال: يا رسول الله. احملنا. يعني: خذنا معك، فقال صلى الله عليه وسلم: واللهِ ما أجد ما أحملكم عليه!، فتولّوا ولهم بكاء، وعَزَّ عليهم أن يُحْبَسوا عن الجهاد. إذ لا يجدون نفقة ولا محملاً؛ فأنزل الله هذه الآية). فبسبب إخلاصهم. وصلاح نيّاتهم. وصِدقهم مع الله. أثابهم على ذلك بأن أبقى ذِكْرهم في كتابه العزيز. وأعطاهم من الأجر مثل ما أعطى المجاهدين في سبيله، كما أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن البصري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((لقد خلّفتم بالمدينة أقوامًا ما أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم واديًا، ولا نلتم من عدوّ نَيْلاً إلا قد شاركوكم في الأجر)). أيّها المسلمون. أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:((جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنْ الْأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَا وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ وَيُجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ؟! قَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ!؟ تُسَبِّحُونَ

وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ. فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا. فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَنَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ. فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: تَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ)). فلمّا رأى النبي صلى الله عليه وسلم تأسّف أصحابه الفقراء وحُزنهم على ما فاتهم من إنفاق إخوانهم الأغنياء أموالهم في سبيل الله. تقرّباً إليه وابتغاء لمرضاته، طيّب قلوبَهم، ودلّهم على عملٍ يسير يُدركون به مَن سبقهم. ولا يَلحقهم معه أحدٌ بعدَهم، ويكونون به خيراً ممّن هم معه إلا مَن عمِل مثل عملِهم. وهو الذِّكر عَقِب الصلوات المفروضات. زاد الإمام مسلم في صحيحه:((فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إلى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا. فَفَعَلُوا مِثْلَهُ. وكأنّهم يريدون شيئا آخَر يختصّون به. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ)). فالتسبيح عقب الصلوات المكتوبات من الأعمال التي ثوابها كثواب الحج والعمرة عند عدم الإستطاعة. أيّها المسلمون. أيّها المشتاقون! أبشِروا. فإنّ من الأعمال التي ثوابها كثواب الحج والعمرة: الجلوس في المصلّى بعد صلاة الفجر جماعة حتي تطلع الشمس ذاكرا لله تعالى ثم يصلّي الضحى. فقد روى التّرمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم:((مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتّى تَطْلُعَ الشّمْسُ ثُمّ صَلّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامّةٍ تَامّةٍ تَامّةٍ)). وفي صحيح الترغيب والترهيب عن عبد الله بن غابر أنّ أبا أُمامة وعتبة بن عبْد رضي الله عنهما حدّثاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((مَن صلَّى صلاةَ الصبح في جماعةٍ، ثم ثبتَ حتى يسبِّحَ للهِ سُبحةَ الضحى؛ كان له كأجرِ حاجّ ومعتمرٍ، تامّاً له حجَّه وعمرته)). وكذلك الخروج من البيت إلى صلاة الجماعة وصلاة الضحي متطهّرا تقوم مقام الحج والعمرة. أخرج أبو داود عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلي الله عليه وسلم قَالَ:((مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ. وَمَنْ خَرَجَ إِلَى تَسْبِيحِ الضُّحَى لَا يَنْصِبُهُ إِلَّا إِيَّاهُ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ. وَصَلَاةٌ عَلَى أَثَرِ صَلَاةٍ لَا لَغْوَ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ)). وأخرَج الإمام أحمد والطبراني عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله

عنه أَنَّ النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال:((مَن مَشَى إلى صلاةٍ مكتوبةٍ في الجماعة فهي كحَجَّةٍ، ومَن مشى إلى صلاة تطوُّعٍ فهي كعُمرةٍ نافلةٍ)). وروى الإمام أحمد والنسائي عن أبي ذر رضي اللهُ عنه قال: أنّ ناساً من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلّون كما نصلّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدّقون بفضول أموالهم. فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم:((أَوَليس قد جعل الله لكم صلاة العشاء في جماعة تعدل حجّة، وصلاة الغداة أي الصبح في جماعة تعدل عمرة)). أيّها المسلمون. أيّها المشتاقون! أبشِروا. فإنّ المشي إلى المساجد لصلاة الجماعة عامّةً يقوم مقام الحج والعمرة عند عدم الإستطاعة. والمشي لصلاة الجمعة خاصّة يعدل هذا الأجر أيضا. ففي تاريخ ابن عساكر عن الأوزاعي رضي الله عنه قال: مرّ يونس بنُ مَيْسَرَةِ بنِ حَلْبَسَ بمقابر. فقال: السلام عليكم يا أهل القبور، أنتم لنا سلف، ونحن لكم تَبَع، فرحمنا الله وإيّاكم، وغفر لنا ولكم، فيا ليتنا قد صِرْنا إلى ما صِرْتم إليه. فردّ الله الروحَ إلى رجُلٍ منهم فأجابه فقال: طوبى لكم يا أهل الدنيا حين تحجّون في الشهر أربعا مرارا. قال: إلى أين نحجّ يرحمك الله؟ قال: إلى الجمعة. أما تعلمون أنّها حجّةٌ مبرورةٌ متقبَّلةٌ. وقال صلّى الله عليه وسلّم:((الجمعة حجّ المساكين)). وكذلك تعليم الخير وتعلّمه من الأعمال التي لها ثواب الحج والعمرة عند عدم الإستطاعة. روى الطّبراني عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه عَنِ النَبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم أَنّهُ قَالَ:((مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ يَلْتَمِسُ عِلْمًا يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ الحَاجِّ تَامّةٍ حَجّتُهُ)). أيّها المسلمون. أيّها المشتاقون! أبشِروا. ومن هذه الأعمال أيضا التي تقوم مقام الحج والعمرة عند عدم الإستطاعة. قضاء حوائج المسلمين. روى ابن أبي الدنيا عن مَالِك بْن دِينَارٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَ الْحَسَنُ البصري رضي الله عنه مُحَمَّدًا بْنَ نُوحٍ، وَحُمَيْدًا الطَّوِيلَ لقضاء حَاجَةٍ لِرجل، وقَالَ لهم: مُرُّوا بثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ فَاشْخِصُوا بِهِ مَعَكُمْ، فَقَالَ لَهُمْ ثَابِتٌ: إِنِّي مُعْتَكِفٌ، فَرَجَعَ حُمَيْدٌ إِلَى الْحَسَنِ، فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي قَالَ ثَابِتٌ، فَقَالَ له الحسن: ارْجِعْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: يَا عُمَيْشُ، أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ مَشْيَكَ فِي حَاجَةِ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حَجَّةٍ بَعْدَ حَجَّةٍ؟ فرجعوا إلى ثابت فأخبروه. فترك اعتكافه. وذهب معهم. ومن هذه الأعمال أيضا برّ الوالدين. روى البيهقي

في شعب الإيمان عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال:((ما مِن ولدٍ بارٍّ ينظر إلى والديه نظرة رحمة. إلاّ كَتب الله له بكلّ نظرة حجّة مبرورة. قالوا: وإن نظر كلّ يوم مائة مرّة؟ قال: نعم. الله أكبر وأطيب)). وروى الطبراني فقال: جاء رجل إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: إنّي أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه. فقال صلّى الله عليه وسلّم:((فهل بقي من والديك أحد؟ قال أمّي. فقال صلّى الله عليه وسلّم: قابل الله في برّها. فإذا فعلت ذلك فأنت حاجّ ومعتمر ومجاهد)). أيّها المسلمون. وهنا تنبيه تَحسُنُ الإشارةُ إليه، وهو أنّ هذه الأعمال تَعدِلُ الحجّ في الجزاء لا الإجزاء، بمعنى أنّ هذه الأعمال تعدل الحجّ في الفضل، لا تُسقط حجَّةَ الفَرض، يقول الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم عن عمرة رمضان: (أي تقوم مقامَها في الثواب، لا أنها تعدلها في كل شيء). ويقول ابن حجر رحمه الله في فتح الباري بشرح صحيح البخاري: (الحاصلُ أنه صلى الله عليه وسلم أعلَمَها أنّ العمرةَ في رمضان تعدلُ الحجة في الثواب، لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض، للإجماع على أنّ الإعتمارَ لا يُجزئُ عن حَجِّ الفرض). والمقصود من كلام ابن حجر أنّ إمرأة سألت النبيّ صلى الله عليه وسلم عن ثواب الحج معه. فأخبرها أنّ العمرة في شهر رمضان تعدل حجة معه صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. أيّها المشتاقون! ومِمّا يُقلِّل من حَسرة المحبِّ المشتاق. هذه الأعمالُ الصالحة التي أرْشَدَنا إليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. والتي جعَلَها في مُتناول أيدينا، وهي سهلة وليس فيها مَشقَّة على إنسان، وجعل ثوابها كثواب الحج والعمرة. وهذا حال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الشفوق بأتباعه. الحريص على نجاة أمّته. وهو كما وصفه ربه في سورة التوبة:((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)). فعلى مَنْ فاته الحج أو عجز عنه، أن يحرِص على أداء تلك الأعمال. ولكن لابدّ من إخلاص النيّة. والصّدق في العمل. ((إنّما الأعمال بالنيات))، أيّها المسلمون. أيّها المشتاقون! فمن رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين أنه لم يُكلِّف بهذه الفريضةِ غيرَ المُستَطِيع، ومِن مزيد رحمته لم يُحْرِم غيرَ المستطيع الذي حبَسَه العذرُ أو أُحْصر عن أداء النسك. فقد شرَع الله عزَّ وجلَّ لنا بدائل للحج من أعمالِ خيرٍ وبِرٍّ، وطاعةٍ وعبادة، بل

جعل لنا وسائل تجعَلُنا نَعِيشُ نفسَ مَشاعِرِ الحجَّاج، ففي نفس الوقت الذي يكون فيه الحاجُّ في مكَّة يؤدِّي المناسك تكون أنت في بلدك، وتُحصِّل من الأجرِ الكثيرَ والكثيرَ، فمدار الأمر المغفرة والثواب، لدرجةٍ تعلو فيها على المجاهد، إلاَّ أنْ تبذل النفس بكاملها والمال بكامله في سبيل الله، فهذه أعظَمُ عشرة أيَّام في العام كله، عن قريب تحلّ بنا. إنها أيام الْعَشْر الأَوَائِلِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ. وهذه الأيَّام ليست للحجَّاج فقط، بل إنّها لعموم الأمَّة؛ حتى يعيش المسلِمون مع إخوانهم الحجاج الجوَّ الإيماني الذي يَعِيشونه فإنَّنا مأمورون بالتشبُّه بالحجَّاج في أعمالهم الظاهرة ومن باب أَوْلى في مقاصد أعمالهم؛ فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم:((مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ. يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ. قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله. إِلا رَجُلاً خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ)). وروى الإمام أحمد في مسنده والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال:((ما من أيّام أعظمُ عند الله ولا أحبّ إليه من العمل فيهنّ من هذه الأيّام العشر. فأكثروا فيهنّ من التّهليل والتّكبير والتّحميد)). وروى الترمذي وابن ماجه والبيهقي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((مَا مِنْ أَيّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ أَنْ يُتَعَبّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَشْرِ ذِي الْحِجّةِ ، يَعْدِلُ صِيَامُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا بِصِيَامِ سَنَةٍ وَقِيَامُ كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهَا بِقِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ)). فسبحان من جَعَلَ لِكُلِّ عبدٍ في طاعته. عِوَضاً عمّا يَخْرُجُ عن إرادته، فأبوابَ الخيرِ في عَشْرِ ذي الحِجَّةِ مُتَعدِّدَةٌ، وميادينَ التَّسابُقِ إلى الفضائِلِ فيها مُتَجدِّدَةٌ، والمبادرة المبادرة بالعمل، قبل أن يندم المفرِّط على ما فعل، فطوبَى لِمَنِ اغتنَمَها بالجِدِّ والتشميرِ والعَمَلِ، وتجنَّبَ التوانِيَ والدَّعَةَ والكسَلَ، ((وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)). ((وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ)). ((وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)). جعلني الله وإيّاكم مِمَّن اشتغل بالعمل الصالح في هذه الأوقات. وأجزل اللهُ له الأجر والمثوبات. وتقبَّل منَّا الدعوات. وجعلنا ممّن نظر إليهم بعين الرضى في الحياة وبعد الممات. فنالوا بذلك أعلى الدرجات. في جوار سيّد السادات. وشفيع المخلوقات.

سيّدنا ومولانا محمّد. عليه من ربّه أفضل الصلوات. وأزكى التسليمات. وأعطر التحيّات المباركات. اللهم قعدت بنا ظروفُنا وتقصيرُنا عن الحج في هذا العام. فاجْبُر اللهمّ حنينَ أفئدتِنا بتسهيلِ حج بيتِك الحرام. وزيارةِ حبيبِكَ المصطفَى عليهِ الصلاةُ والسلام. في العام القادم وفي كل عام. يا ذا الجلال والإكرام. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.اهـ